

صاحب الجلالة يوجه خطاباً إلى شعبه
بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

ها نحن نلتقي اليوم كما عهدنا أن نلتقي بمناسبة عيد الشباب الذي يوافق عيد ميلادي، إننا اعتدنا أن نغتنم هذه المناسبة لنتبادل الحديث جريا على عادة قديمة أصيلة لم نر من نتائجها إلا الخير والحصول العميم من المنجزات، ومن التفهم، ومن التجاوب بين الأفكار والقلوب والأرواح.

أنا فخور بأن ولدت في المغرب

حقا شعبي العزيز إنني سعيد وفخور بعيد ميلادي لأنه كان في الإمكان أن أولد في حقبة أخرى من الزمن، سعيد لأنه كان في الامكان ان لا أعيش هذه الظروف او هذه الحقب من الملاحم، سعيد لأنه لو تقدمت أو تأخرت لما شاهدت ما شاهدته ولما شاركت فيما شاركت فيه، ولما أعطيت من نفسي وجهدي وشبابي وقوتي ما أعطيت وما بذلت، فخور بأن ولدت بالمغرب وأن أنتسب إلى المغرب، وأن أكون فردا من الأسرة الكبرى الأسرة المغربية لأن شعبي — الشعب المغربي — جدير بأن يطمح بأن ينتسب إليه كل عظيم عظيم، ويعد في سجل مواليده كل حكيم حكيم.

المغاربة إن أرادوا وقرروا فعلوا

إنني شعبي العزيز كنت أتصفح البارحة الصفحات التي كتبناها جميعاً سواء حينما كنت ولياً للعهد أو حينما أراد الله سبحانه وتعالى أن يسند إلي ما أسند، كنت أتصفح وكنت مجذوبا بين الإبتهاج للسرعة التي مر فيها وأتقن فيها كل ذلك وبين العشرين سنة التي بيننا وبين الإستقلال.

فعشرون سنة طويلة وقصيرة معا، يطولها تعداد المنجزات ويقصرها إتقان المنجزات وقيمتها، وما كان ذلك لينجز إلا كما قلت لك أن ما أنجز في المغرب، وما أنجز وبني بني بسواعد وكواهل المغاربة، والمغاربة حباهم الله شيئاً غريبا، وهو أنهم إن أرادوا وقرروا فعلوا.

مسيرة أخرى تسهل مرامينا في الأقاليم الصحراوية

وهكذا شعبي العزيز فعلت كثيراً كثيراً منذ السنين الأخيرة، ولا أريد أن أرجع بك إلى الماضي البعيد، أريد فقط أن أرجع بك إلى السنة الماضية، ففي السنة الماضية بعدما استرجعنا صحراءنا كنت قد دعوتك شعبي العزيز إلى مسيرة أخرى من نوع آخر تسهل علينا مرامينا في الأقاليم المسترجعة وتيسر لنا البناء والتشييد في صحرائنا المستعادة وسارعت شعبي العزيز كعادتك إلى تلبية ما كنا قد طلبنا منك، بل زدت بكرمك والمروءة



المعروفة فيك، زدت على كل ما كنا ننتظر منك وإذ ذاك بعد مخاطبتنا لك، قلنا إننا خططنا تخطيطا ووضعنا برنامجا يرميان إلى أن تعيش في السنة التي بعد السنة الماضية أن تعيش حياة في إطار الملكية الدستورية، وكنا إذ ذاك رسمنا لك الخطط والخطوات واحدة واحدة بتاريخها وبمواعيدها، وطلبنا منك أن تحترم تلك الخطوات، وطلبنا منك كذلك أن تكون في مستوى ما ننتظره منك.

أنا الشعب المغربي أعمالي تصان عن العبث

وفي أقل من ظرف سنة تمكنت شعبي العزيز أن تخوض معركة الإنتخابات، لأنها كانت معركة تشرفك والحمد لله وترفع من قدرك وتنزلك المنزلة التي تستحق بين الأمم والشعوب.

فسواء كانت الإنتخابات بلدية أو قروية أو جهوية أو مهنية أو عامة، اجتزت كل هذه الخطوات برزانة وتفكير سديد وإيمان قوي عميق، لأنك تقبل على شيء مهم جدا وكأنك تقول : «أنا الشعب المغربي مثل الحكماء والعقلاء، أعمالي تصان عن العبث».

وفعلا شعبي العزيز أعمالك سوف تصان دائما وسوف تصونها، أنت ستصونها بتجنيدك الدائم، بوعيك المستمر لحاجيات البلاد وأسبقيتها، سوف تصون نفسك وكرامتك بوقوفك دائما وراء قائدك للدفاع عن حوزة بلادك وكرامتها وسيادتها.

البرلمان يفتتح بعد رمضان

شعبي العزيز

كان في الإمكان أن نفتح جلسات البرلمان بعد انتخاب أعضائه، ولكننا رجعنا إلى الدستور وتصفحنا مقتضياته، فوجدنا أن البرلمان لا يمكن أن يقوم بعمله بصفة كاملة غير منقوصة قانونيا إلا إذا اجتمع وكون مكتبه وعين لجانه، وهذا المكتب وهذه اللجان لا يخول لها القانون الدستوري أن تتكون إلا مرة في السنة وفي دورة أكتوبر.

نعم، الدستور يعطينا في فصوله الأخيرة الصلاحية لسد هذه الثغرة، ولكن حتى اللجوء إلى هذه العملية لم نرده، نظرا لما نريد أن يعطي لأسمى قانون وهو الدستور من حرمة واحترام.

وبعد رمضان إن شاء الله في شهر أكتوبر سنفتح البرلمان، وسيكون لنا السرور العميق للتحادث مع منتخبيك والتحدث إليهم ومخاطبتهم، ولكن من الآن يمكنني أن ألوح ولو ببعض الكلمات إلى ما أنتظره منهم من تجنيد عملهم ومن وفاء لمنتخبيهم، عليهم أن يعلموا أنهم حينما كانوا يخطبون في الناس وحينما كانوا يعانقون الناس وحينما كانوا يصافحون الناس، كانوا يصافحون ويخاطبون ويعانقون مواطنين، مواطنين لهم حرمهتم، ولهم شخصيتهم، فعليهم إذن أن يعلموا كلهم أنهم أصبحوا أسارى ذلك العناق، أسارى تلك المصافحة، أسارى تلك الخطب، عليهم أن ينزهوا ويكرموا منتخبيهم حتى يكونوا في مستوى منتخبيهم ولن يكونوا في مستوى منتخبيهم إلا إذا أنجزوا ما وعدوا به أو على الأقل إلا إذا ساروا في طريق الإنجاز، لأن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولكن كل شيء محتاج إلى العمل المستمر.

عليهم ثانيا في هذه المدة التي تفصل بينهم وبين مزاولتهم لأعمالهم أن يتفرغوا إلى التفكير وإلى درس



الملفات، حتى إذا أتوا إلى البرلمان تمكنوا من النظر في التخطيط الذي لا ينتظر، أمكنهم النظر في ميزانية السنة المقبلة التي لا يمكن أن تنتظر حتى يمكنهم أن يتطرقوا لجميع المواضيع داخلية كانت أو جهوية أو خارجية تطرقاً مصحوباً بالتفكير والحلول، لا ذلك التطرق أو البحث الأكاديمي الذي ربما يخفق وتكون رناته رنات طيبة ولكن يذهب جفاء.

فإذا هم فعلوا هذا ويقيني أنهم سيفعلون هذا وذاك، فإنهم سيكونون في مستوى المغرب.

وللسائل أن يتساءل : ما هو مستوى المغرب في قارته، وفي عالمنا وفي جهته ؟

مستوى المغرب في قارتنا أنه كان وما زال منذ أن وجد محسودا على ما حباه الله من نعم مادية ومعنوية.

فالمعروف عن المغرب في قارته أنه كان ينجب الرجال لا للإستهلاك الداخلي فقط، بل لرفع كلمة الله ونشر العلم، والمشاركة في بناء حضارات جنوبا وشرقا وشمالا، المعروف عن المغرب أنه كان دائما وثابا سباقا إلى الخير حامياً لأصدقائه وفيا لعهوده بالنسبة لقارته، دولة محترمة وشعبا مكرماً.

وبالنسبة للعالم كان وما يزال شعباً يخاف منه الناس بما عرفوا عنه من شجاعة واستماتة في سبيل نصرة كلمته والدفاع عن حقه، يهابه الناس ولكن يحبه الناس كذلك لأنه كان عبر البحار دائما بجانب أصدقائه واقفا مع إخوانه يمدهم بالمعونة العسكرية والغذائية والبشرية كلما احتاجوا إليه.

فإذن نرى أن مستوى المغرب ــ حينما أقول مستوى المغرب ــ فإنني لا أزور التاريخ ولا أزيد على التاريخ، بل ربما في عبارتي وفي تصويري لمستوى المغرب ما من شأنه أن يعتبر غبنا في حق المغرب وما هو دون منزلة المغرب، وما هي منزلة المغرب اليوم ؟ منزلته اليوم هي كما كانت من قبل، كما احتاجه أشقاؤه في افريقيا سواء سنة 1960 أو سنة 1977 فوجدوه معهم وبجانبهم، يدافع عن أفكار هي أفكاره وعن مبادىء هي مبادؤه وعن نظام للحياة هو نظام اختاره لنفسه وهو نظام الحرية.

الحرية أن نعمل منسجمين

فإذن مستوى المغرب هو في مستوى الحرية، وكل رجل يفكر جيدا وبكيفية عميقة لا يمكنه أن يلم إلماما تاماً وحقيقيا بمعنى الحرية.

الحرية هي سبب الإنسان في العيش وهي ما ينشده كل غاد ورائح، فإذن الحرية ليست فوضى وليست هي أن أخرج من بيتي حين أريد أو أدخل إليه حين أريد، بل الحرية هي أن أشعر أنا ومن معي ومن بجانبي في معمل وفي شارع وفي حقل وفي مكتب، أننا نعمل منسجمين منسقين لأعمالنا وخطواتنا، وحينما نريد أن نحلل ماذا يجمعنا والحالة هذه أن شؤوننا مختلفة ومذاهبنا ربما في عدة مسائل متباينة ومدارسنا التكوينية ليست موحدة، نجد أن ما يجمعنا هي الحرية، الحرية هي التي تكون بين أشخاص بشخصياتهم يحترمون ويحترمون فيعملون بحرية.

ما معنى الحرية ؟ أي أن يعملوا في نطاق الأسرة والمجتمع الإسلامي، لأن المجتمع الإسلامي جاء بالحرية حينما بدأ القرآن بـ «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ، فالقراءة والكتابة هما سلاح الحرية ولباسها وبيتها.

وحينما بدأ الإسلام بـ (اقرأ) بدأ بتكريم الإنسان بدأ بالحرية وحض على الحرية، بل أوجب الجهاد في



سبيل الحرية، والدليل على هذا أن المغرب الذي تطلعت إلى غزوه دول ودول فلم يخضع لأي واحدة منها، حاول غزوه الفنيقيون والرومانيون والوندال والقوط والفزيوط، ودخلته المسيحية في أيام الرومان فلم يستكن لأي دولة، وحتى عندما دخل الإسلام المغرب لم يستسلم إلا للعقيدة، فاستتب الأمر للإسلام، لأن الإسلام لم يأت لهذا البلد ليأخذ من أهله الزرع ولا القمح ولا الفواكه ولا البواكير ولا العبيد ولا الماديات، لم يطلب منهم شيئاً، بل إنه جاءهم بما كانوا أحوج إليه، وجاءهم بهدية هي الحرية، ومنذ ذلك اليوم، والمغرب يرتع في الإسلام ويرتع في الهناء وهو مطل على جيرانه ومن يجاوره بعيدا كان أو قريبا، يطل من قمم، شامخا في تواضع، معتزا في إطار معاملة يومية دائبة لا تريد العجرفة ولا تريد الإستئثار، ولكن يحاول كذلك في آن واحد — هذا المغرب — أن يقول للجميع : حذار حذار، لا تظنوا كرمي سفها ولا تسامحي تخليا، ولكن لي شيم ولي تقاليد أحترمها فاحترموها معي.

شعبي العزيز

فكرت كثيرا في الموضوع الذي كنت أريد أن أتطرق إليه معك اليوم في مسامرتنا لأن هذه مسامرة بيننا، مسامرة نتبادل فيها الغراميات.

وحتى لا يكون حديثي مملا، وحتى لا أثقل على مسامعك، فكرت أن أعطيك صفحة أو أقرأ عليك صفحة من صفحات غزلي في بلدي، لأنك أنت وأنا جميعا في غرام كبير ببلدنا ووطننا، وعساني أن أكون قد وفقت بما رميت إليه ووصلت الهدف الذي كنت آمله.

وإنني شعبي العزيز مسبقا علما مني أنك ستفرح معي بعيد ميلادي، أريد شعبي العزيز أن أعطيها لك لكل واحد وواحدة من شعبي العزيز قبلة حارة وعناقا، عناقا متينا عميقا، شاكرا مسبقا ما سوف تحس به نحوي أو تعبر عنه فيما يخص عيد ميلادي.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يقينا أنت وأنا متفقين مجتمعين من عباده الصالحين المصلحين حتى يحق فينا قوله سبحانه وتعالى : «وكان حقا علينا نصر المؤمنين».

صدق الله العظيم.

الجمعة 20 رجب 1397 — 8 يوليوز 1977